رسالة عن الإلهام

للإمام السيد علوى المالكى الحسني رضي الله عنه آمين

وتليه

خاتمة فى بطلان الانتقال والاتحاد والحلول

للإمام حجة الاسلام أبى حامد الغزالى رضي الله عنه آمين

Perpustakaan Pribadi
Ubaidillah Arsyad

MAKTABAH
KITAB
NUSANTARA

DILARANG
MEMPERJUALBELIKAN PDF INI

Perpustakaan Pribadi
Ubaidillah Arsyad

رسالة عن الإلهام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فقد سألتَ نوّر الله بصيرتك وصفى سريرتك عن الإلهام وأحكامه وما يتعلق به فأقول مستمدا من الله المدد والإلهام والفتح والنور التام .

(**التعريف لغة واصطلاحا**) إعلم أن الإلهام ويسمى الفراسة وحديث نفس ويقال لصاحبها ملهم ومحدث ، هو في اللغة التثبت ، وفي اصطلاح أهل الحق هو مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب قاله السيد في تعريفاته ومن ثم قال بعضهم في تعريف الفراسة هي أرواح تنقلب في الملكوت فتشرف على معانى الغيب فتنطق عن اسرار الحق نطق مشاهدة وعيان لانطق ظن وحسبان .

[الفرق بين علم الله الغيب وعلم أنبيائه وأوليائه بذلك] . قال الله تعالى عز وجل ﴿قل لايعلم من في السموات والارض الغيب إلا الله﴾ وقال تعالى ﴿عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحدا إلا مَن ارتضى من رسول﴾ .

إعلم أن الله تعالى قد يطلع أنبياءَه ورسله على الغيب بخطاب أو بكشف حجاب أو إلهام كما يطلع بعض أوليائه على ذلك بكشف حجاب ولا يلزم على ذلك مساواة المخلوق في علمه للخالق بل بينهما في ذلك أعظم فارق وذلك من وجهين : **الأول** : أن علم الله للغيب علم ذاتي استقلالي لايكون بإعلام أحد ، بخلاف علم غيره فهو علم مكتسب عرض بإعلام الله عز وجل وعلمنا بذلك يكون بإعلامهم لنا **الثاني** : أن علم الله تعالى قديم أبدي أزلي لايقبل الإنقسام ولا التغير ولا الزوال بل هو علم واحد محيط بالكليات والجزئيات ليس بضروري ولا كسبي يعلم الأشياء قبل وقوعها

وحين وقوعها وبعد وقوعها فأين هذا من علم الخلق الحادث المكتسب الكائن بإعلام الله عزوجل وحينئذ لايطلق على الخلق أنهم يعلمون الغيب إذ لا صفة لهم يقتدرون بها على الإستقلال بعلمه وهم في الحقيقة ماعلموا ولكن أعلموا وماعلموا علما مطلقا ولكن أعلموا بعلم مقيد ببعض الجزئيات ومن علم شيئا يشاركه فيه غيره من النظراء لايقال إنه عالم بالغيب.

مسألة [الفرق بين خطاب الله للنبي وإعلامه للولي] يتلخص الفرق بينهما فيما يأتي :

الأول : خطاب الله للنبي ﷺ يكون بواسطة الملك وبلا واسطة بالرؤيا الصالحة وبالنفث في الروع وبكلامه بلا حجاب وكل ذلك يسمى وحيا وكلاما ينسب إلى الله حقيقة فلذا قال تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ وإعلام الله للولي شيئ يلقى في القلب ينشلج له الصدر على سبيل الإلهام يوجب الطمأنينة والقبول بلا تردد ولا تلعثم.

الثاني : أن رد خطاب الله للنبي كفر وردّ الإلهام للولي نقص فافهم.

[أقسام الإلهام] إعلم أن الإلهام ينقسم إلى قسمين : إلهام صحيح ؛ وإلهام غير صحيح.

(الأول) : أمّه وقاعدته الغض عن المحارم فمن عمّر ظاهره بالإتباع وباطنه بالمراقبة واعتاد أكل الحلال أبصر الحقائق عيانا بقلبه ولم تخطئ فراسته أبدا وهذا القسم حجة في حق أهله كما عليه الصوفية وهو المشار إليه بقوله عليه السلام «استفت قلبك وإن أفتوك» وإنما كان حجة لتوفر القرائن عند من وقع له بحقيقته وأنه ليس من الخواطر النفسانية في شيئ قطعا لأنه منسوب إلى الله حيث أنه الملقي له في قلب الولي إكراما وإنعاما وإلهاما بمايكون سببا لمزيد فتحه أو إصلاح غيره.

(الثاني) : إلهام غير صحيح وهو ماتعورف بأدلة وتجارب وخلق وأخلاق

وفيه مصنفات ولا ثقة به وإنما هو ظنون لاتغنى عن الحق شيئا وهذا ليس بحجة ، وأدلة الإلهام مبني على الفراسة :

الأول : قوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ معناه للمتفرسين . هكذا كما نقله الحكيم الترمذى في نوادر الأصول .

الثانى : قوله عليه السلام : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله .

الثالث : قوله عليه السلام : ان لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم .

الرابع : قوله عليه السلام : ان فى أمتى مُلهمون أو محدثون ومنهم عمر رضي الله عنه .

الخامس : قوله عليه السلام : استفت قلبك وإن أفتوك .

السادس : قوله عليه السلام لوابصة بن مَعْبَد : البر ماسكنت إليه النفس واطمأن له القلب والإثم ماترددت فيه .

السابع : قوله عليه السلام في الحديث القدسي : فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشي بها .

الثامن : قصة سيدنا عمر رضى الله عنه في قوله : ياسارية الجبل الجبل .

التاسع : قول الصديق رضى الله عنه إن بنت خارجة حاملة ببنت ولم يكن استبان حملها فولدت بنتا .

العاشر : إلهام الله أم موسى عليه السلام أن تقذفه في التابوت وتلقيه في اليم .

الحادى عشر : قصة الجنيد رحمه الله في قوله للنصرانى السائل عن حديث : اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله فأطرق الجنيد رأسه ثم قال له أسلم فقد ان وقت إسلامك .

الثانى عشر : قصة سيدنا عثمان رضى الله عنه وقد قال لبعض الصحابة لما دخل عليه وكان قد مر بالسوق فنظر إلى امرأة قال له يدخل أحدكم علينا وفي عينيه أثر الزنا فقال له الرجل أوحي بعد رسول الله ﷺ قال لا ولكن برهان وفراسة .

بيان مذهب الصوفية والأصوليين في الإلهام

قال العارفون إن الإلهام والفراسة حجة ممن حفظه الله في سائر أعماله الظاهرة والباطنة . وقال الأصوليون الإلهام أو الفراسة ليس بحجة وهذا محمول على الإلهام الصادر من غير من ذكر، وخرج عن قاعدة وأس الفراسة الصحيحة وصار من ضمن الفراسة الغير الصحيحة وهي ماتعورف منا بأدلة وتجارب .

(أدلة العارفين) يدل لمذهب العارفين أمران :

(الأول) : توفر القرائن على أن الإلهام ليس من الخواطر النفسانية في شيء قطعا فهو منسوب إلى الله تعالى بمعنى أنه الملقي لذلك في القلب إنعاما وإكراما .

(الثاني) : أن أمر الإلهام من قبيل الإستنباط من الكتاب والسنة فكما أنهم منعوا صدور الإستنباط إلا ممن تحققت فيه شروط الإجتهاد المطلق المحررة في كتب الأصول ، كذلك منعوا الإحتجاج بالإلهام إلا لمن عمر ظاهره وباطنه بالإتباع والتقوى والمراقبة .

فالحاصل أن الأئمة العارفين في قولهم بالإحتجاج به نظروا إلى قلوب القليل المحقق حفظها من دواعي الوسواس ولا تخلو عن الخزازة في مظان الكراهة حتى لا تحكم إلا بالحق فجوزوا استفتاءها ومن أعز هذه القلوب ولذا لم يرد عليه السلام كل واحد إلى استفتاء قلبه بل جعل ذلك لوابصة ولمن كان على قدمه ، استدل العصام في حاشيته على العقائد النسفية على حجية الإلهام بالقياس الجلي فقال ماتوضيحه : لو لم يكن الإلهام حجة في غير الأنبياء بزعم أنه خطرات نفس لاثقة بها من غير المعصوم لكانت الرؤيا كذلك واللازم باطل لما جاء في حديث : «أن رؤيا المؤمن حق وأنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة على أنه قد جاء في الإلهام «استفت قلبك وإن أفتوك»

مسلك الأصوليين والفقهاء

أما الأصوليون والفقهاء فإنما قالوا بعدم الإحتجاج بالإلهام لأمرين .

(الأول) : لأنهم نظروا الى قلوب الكثير الغالب من الناس التى لم تخل من دواعى الوسواس فمنعوا من استفتائهم إياها.

(الثانى) : أن المصلحة للناس المتكفلة بسلامتهم من تغرير الشيطان والوقوع في هوة الطغيان قطعهم عن الإحتجاج بالإلهام ، فذلك باب يجب سده على الناس لئلا يترتب على فتحه لهم من المفاسد ما لا يحصى ولئلا يدعيه ويحتج به ممن ليس من أهله إذ لا ثقة بخواطر غير المعصومين فربما زين له الشيطان فيظن أنه إلهام فليست مخالفة الأصوليين والفقهاء للسادة الصوفية لإنكار الإلهام من أصله كيف والحديث الصحيح مصرح به وهو «أن في أمتى ملهمون أو محدثون ومنهم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه» .

هذا ما يسر الله جمعه ملخصا من رسالة شيخنا على المالكى المسماة مناهل الرياسة والكياسة في موارد عذب الفراسة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال الشيخ العالم العلامة محمد بن محمد بن محمد الطوسي أبي حامد الغزالي رضي الله عنه وأرضاه وعنا به ونفعنا بعلومه وبركاته وكراماته وأمدنا بأسراره وأنواره فى الدارين آمين . فى كتابه "المقصد الاسنى" . بسم الله الرحمن الرحيم , الحمد لله المنفرد بكبريائه وعظمته , المتوحد بتعاليه وصمديته , الذى قص أجنحة العقول دون حمى عزته , ولم يجعل السبيل إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته وقصر ألسنة الفصحاء عن الثناء على جمال حضرته إلا بما أثنى به على نفسه وأحصى من اسمه وصفته , والصلاة والسلام على محمد خير خليقته وعلى آله وأصحابه وعترته :

ثم قال فيه اعلم أنه حملنى على ذكر التنبيهات ردف هذه الأسامى والصفات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تخلقوا بأخلاق الله تعالى" وقوله صلى الله عليه وسلم : "إن الله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا من تخلق بواحد منها دخل الجنة" وما تداولته ألسنة الصوفية من كلمات تشير إلى ماذكرناه لكن على وجه يوهم عند غير المحصل شيئا من معنى الحلول أو الاتحاد وذلك غير مظنون بعاقل فضلا عن المميزين بخصائص المكشفات

ولقد سمعتُ الشيخ أبا على القارمدى يحكى عن شيخه أبى القاسم الكركانى قدّس الله روحهما ، أنه قال : إن الأسماء التسعة والتسعين تصيّر أوصافا للعبد السالك وهو بعدُ فى السلوك غير واصل ؛

وهذا الذى ذكره ، إن أراد به شيئا يناسب ما أوردناه ، فهو صحيح ؛ ولا يُظن به إلا ذلك ، ويكون فى اللفظ نوع من التوسع والاستعارة ؛ فإن معانى الأسماء هى صفات الله تعالى ، وصفاته لا تصير صفة لغيره ، ولكن معناه أنه يحصل له ما يُناسب تلك الأوصاف . . كما يقال : فلان حصّل علم أستاذه ؛ وعِلم الأستاذ لا يحصل للتلميذ ، بل يحصل له مثل علمه ؛

وإن ظن ظان أن المراد به ليس ما ذكرناه — فهو باطل قطعا ؛ فإنى أقول : قول القائل : "إن معانى أسماء الله صارت أوصافا له ، لا يخلوا إما أن يعنى به عين تلك الصفات أو مثلها ، فإن عَنَى به مثلها فلا يخلو إما أنه عنى به مثلها مطلقا من كل وجه ، وإما أنه عنى به مثلها من حيث الاسم والمشاركة فى عموم الصفات دون خواص المعانى ، فهذان قسمان ؛ وإن عنى به عينها ، فلا يخلو إما أن يكون بطريق انتقال الصفات من الرب إلى العبد ، أو لا بالانتقال ؛ فإن لم يكن بالانتقال ، فلا يخلو إما أن يكون باتحاد ذات العبد بذات الرب حتى يكون هو هو ، فيكون صفاته صفاته ؛ وإما أن يكون بطريق الحلول ؛

وهذه أقسام ثلاثة وهى : الانتقال ، والاتحاد ، والحلول ؛ فيكون لدينا خمسة أقسام . . الصحيح منها قسم واحد ، وهى أن يثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجملة ، وتشاركها فى الاسم ، ولكن

لا تماثلها مماثلة تامة ، كما ذكرناه في التنبيهات ؛

وأما القسم الثاني : وهو أن يثبت له أمثالها على التحقيق ، فمحال ؛ فإن من جملتها أن يكون له علم محيط بجميع معلومات حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات ، وأن يكون له قدرة واحدة تشمل جميع المخلوقات حتى يكون بها خالق السموات والأرض وما بينهما . وكيف يتصور هذا لغيره تعالى ؟ . . . ! . . . وكيف يكون العبد خالق السموات والأرض وما بينهما وهو من جملة ما بينهما ؟ . . . ! . . . فكيف يكون خالق نفسه ؟ . . . ! . . . ثم إن ثبتت هذه الصفات لعبدين يكون كل واحد منهما خالق صاحبه ، فيكون كل واحد منهما خالقا من خلقه ، وكل ذلك تُرهات ومحالات ؛

وأما القسم الثالث : وهو انتقال عين صفات الربوبية ، فهو أيضا محال ؛ لأن الصفات يستحيل مفارقتها للموصوف ؛ وهذا لا يختص بالذات القديمة ، بل لا يتصور أن ينتقل علم زيد إلى عمرو ؛ بل لا قيام للصفات إلا بخصوص الموصوفات ، ولأن الانتقال يوجب فراغ المنتقل عنه ، فيوجب أن تعرى الذات التي عنها انتقال صفات الربوبية عن الربوبية وصفاتها . . وذلك أيضا ظاهر الاستحالة ؛

وأما القسم الرابع : وهو الاتحاد . . فذلك أيضا أظهر بطلانا ؛ لأن قول القائل : "إن العبد صار هو الرب" كلام متناقض في نفسه ؛ بل ينبغي أن ينزه الرب سبحانه عن أن يجري اللسان في حقه بأمثال هذه المحالات ؛

ونقول قولا مطلقا : إن قول القائل : "إن شيئا صار شيئا آخر" محال

على الإطلاق ؛ لأنا نقول : إذا عُقل زيد وحده ، وعمرو وحده ؛ ثم قيل : إن زيدا صار عمرا واتحد به ، فلا يخلو – أى الحال – عند الاتحاد إما أن يكون كلاهما موجودين ، أو كلاهما معدومين ، أو زيد موجودا وعمرو معدوما ، فلم يصر أحدهما عين الآخر ، بل عين كل واحد منهما موجود ؛ وإنما الغاية أن يتحد مكانهما ، وذلك لايوجب الاتحاد ؛ فإن العلم والإرادة والقدرة قد تجتمع فى ذات واحدة ولايتباين محالها ، ولاتكون القدرة هى العلم ولا الإرادة ، ولايكون قد اتحد البعض بالبعض ؛ وإن كانا معدومين ، فما اتحدا ، بل عدما ولعل الحادث شىء ثالث ؛ وإن كان أحدهما معدوما والآخر موجودا ، فلا اتحاد ؛ إذ لايتحد موجود بمعدوم ؛

فالاتحاد بين الشيئين مطلقا محال ؛ وهذا جار فى الذوات المتماثلة فضلا عن المختلفة ؛ فإنه يستحيل أن يصير هذا السواد ذاك السواد ، كما يستحيل أن يصير هذا السواد ذلك البياض أو ذلك العلم ؛ والتباين بين العبد والرب أعظم من تباين بين السواد والعلم ؛ فأصل الاتحاد إذن باطل ؛

وحيث يُطلَق الاتحاد ويقال : "هو هو" لايكون إلا بطريق التوسع والتجوز اللائق بعادة الصوفية والشعراء ؛ فإنهم لأجل تحسين موقع الكلام من الأفهام يسلكون سبيل استعارة ، كما يقول الشاعر :

أنا من أهوى ✿ ومن أهوى أنا

وذلك مؤول عند الشاعر ، فإنه لايعنى به أنه هو تحقيقا ، بل كأنه هو ، فإنه مستغرق الهم به ، كما يكون هو مستغرق الهم بنفسه ؛ فيعبر عن هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجوز ؛

وعليه ينبغى أن يحمل قول أبى يزيد ، حيث قال انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها ؛ فنظرت فإذا أنا هو ؛ ويكون معناه أن من ينسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها ، فلا يبقى فيه له متسع لغير الله ، ولا يكون له هم سوى الله تعالى ، ولا يحل فى القلب إلا إجلال الله وجماله حتى صار مستغرقا به — يصير كأنه هو ، لا أنه هو تحقيقا ؛

وفرق بين قولنا : "كأنه هو" وبين قولنا : "هو هو" ؛ لكن قد يعبر بقولنا : " **هو هو** " عن قولنا **"كأنه هو"** ، : كما أن الشاعر تارة يقول : كأني من أهوى ، وتارة يقول يتنزل :

أنا من أهوى

وهذه مزلة قدم ، فإن من ليس له قدم راسخ فى المعقولات ربما لم يتميز له أحدهما عن الآخر ؛ فينظر إلى كمال ذاته ، وقد تزيد بما تلألأ فيه من حلية الحق ، فيظن أنه هو فيقول : أنا الحق ؛ وهو غالط غلط النصارى حيث رأوا ذلك فى ذات عيسى عليه السلام فقالوا : هو الإله ؛

بل غلط من ينظر إلى مرآة قد انطبع فيها صورة متلونة ، فيظن أن تلك الصورة هى صورة المرآة ، وأن ذلك اللون لون المرآة ؛ وهيهات ! ...

بل المرآة فى ذاتها لا لون لها ، وشأنها قبول صور الألوان ، على وجه يتخايل إلى ظاهر الأمور أن ذلك هى صورة المرآة ، حتى أن الصبي إذا رأى إنسانا فى المرآة ظن أن الإنسان فى المرآة ؛

فكذلك القلب خال عن الصورة فى نفسه ، وعن الهيئات ؛ وإنما هيئته قبول معانى الهيئات والصور والحقائق ؛ فما يحله يكون كالمتحد به ، لا أنه متحد به تحقيقا ؛

ومن لا يعرف الزجاج والخمر ، إذا رأى زجاجة فيها الخمر لم يُدرك تباينهما ، فتارة يقول : لاخمر ، وتارة يقول : لازجاجة . . كما عبّر عنه الشاعر حيث قال :

رقّ الزجاج وراقت الخمر ✿ فتشابها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح ✿ وكأنما قدح ولا خمر

وقول من قال منهم : "أنا الحق" فإما أن يكون معناه معنى قول الشاعر :

أنا من أهوى ✿ ومن أهوى أنا

وإما أن يكون قد غلط في ذلك كما غلطت النصارى في ظنهم اتحاد اللاهوت بالناسوت ؛ وقول أبي يزيد - إن صح عنه - : "سبحاني ما أعظم شأني" ، إما أن يكون ذلك جاريا على لسانه في مَعْرَض الحكاية عن الله تعالى ، كما لو سمع هو يقول : "لا إله إلا أنا فاعبدوني" لكان يحمل على الحكاية ؛ وإما أن يكون قد شاهَد كمال حظه من صفة القدس ، على ماذكرنا في الترقّي بالمعرفة عن الموهومات والمحسوسات ، وبالهمة عن الحظوظ والشهوات ؛ فأخبر عن قدس نفسه ؛ فقال ﴿ سبحاني ﴾ ؛ ورأى عظم شأنه بالإضافة إلى شأن عموم الخلق ، فقال ﴿ ما أعظم شأني ﴾ .

وهو مع ذلك يعلم أن قدسه وعظم شأنه بالإضافة إلى الخلق ، ولانسبة إلى قدس الرب تعالى وعظم شأنه ؛ ويكون قد جرى هذا اللفظ على لسانه في سُكْر وغلبة حال ؛ فإن الرجوع إلى الصحو واعتدال الحال يوجب حفظ اللسان عن الألفاظ الموهمة ، وحال السكر ربما لايحتمل ذلك ؛ فإن جاوزتَ هذين التأولين إلى الإتحاد ، فذلك محال قطعا ، فلا تنظر إلى

مناصب الرجال حتى تصدق بالمحال، بل ينبغي أن تعرف الرجال بالحق، لا الحق بالرجال ؛

وأما القسم الخامس : وهو الحلول . فذلك يتصور بأن يقال : إن الرب حل في العبد، أو العبد حل في الرب تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين ؛

وهذا لو صح لما أوجب الإتحاد، ولا أن يتصف العبد بصفات الرب ؛ فإن صفات الحال لا تصير صفة المحل، بل تبقى صفة الحال كما كان ؛

ووجه استحالة الحلول لا يفهم إلا بعد فهم معنى الحلول ؛ فإن المعاني المفردة إذا لم تدرك بطريق التصور لم يمكن أن يعلم نفيها أو إثباتها ؛

فمن لا يدري معنى الحلول ؛ فمن أين يدري أن الحلول موجود أو محال ؟ . . .

فنقول : المفهوم من الحلول أمران :

أحدها : النسبة التي بين الجسم وبين مكانه الذي يكون فيه ؛ وذلك لا يكون إلا بين جسمين ؛ فالبرىء عن معنى الجسمية يستحيل في حقه ذلك ؛

والثاني : النسبة التي بين العَرَض والجوهر ؛ فإن العرض يكون قوامه بالجوهر ؛ فقد يعبر عنه بأنه حال فيه ؛ وذلك محال على كل ما قوامه بنفسه ؛ فدع عنك ذكر الرب تعالى في هذا المعرض ؛ فإن كل ما قوامه بنفسه يستحيل أن يحل فيما قوامه بنفسه إلا بطريق المجاورة الواقعة بين الأجسام ؛ فلا يتصور الحلول بين عبدين، فكيف يتصور بين العبد والرب تعالى ؟ . . . ! . . .

وإذا بطل الحلول، والإنتقال، والإتحاد، والاتصاف بأمثال صفات الله تعالى على سبيل الحقيقة - لم يبق لقولهم معنى إلا ما أشرنا إليه في التنبيهات؛ وذلك يمنع من إطلاق القول بأن معاني أسماء الله تصير أوصافا للعبد إلا على نوع من التقييد. خال عن الإيهام. وإلا فمطلق هذا اللفظ موهم؛

فإن قلت: فما معنى قوله إن العبد مع الإتصاف بجميع ذلك سالك لا واصل؟ ... فما معنى السلوك؟ ... وما معنى الوصول؟ ...

فاعلم أن السلوك هو تهذيب الأخلاق والأعمال والمعارف؛ وذلك إشتغال بعمارة الظاهر والباطن. والعبد في ذلك مشتغل بنفسه عن ربه، إلا أنه مشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول؛ وإنما الوصول هو أن يتكشف له حلية الحق، ويصير مستغرقا به؛ فإن نظر إلى معرفته فلا يعرف إلا الله تعالى، وإن نظر إلى همته فلا همة له سواه؛ فيكون كله مشغولا بكله مشاهدة وهما، لايلتفت في ذلك إلى نفسه إلا ليعم ظاهره بالعبادة وباطنه بتهذيب الأخلاق؛ وكل ذلك طهارة، وهي البداية؛ وإنما النهاية أن ينسلخ من نفسه بالكلية، ويتجرد له؛ فيكون كأنه هو .. وذلك هو الوصول؛

فإن قلت: كلمات الصوفية تنبيء عن مشاهدات انفتحت، لهم في طور الولاية، والعقل يقصر عن درك الولاية، وما ذكرتموه تصرف ببضاعة العقل؛

فاعلم أنه لايجوز أن يظهر في طور الولاية ما يقضي العقل باستحالة؛ نعم يجوز أن يظهر فيها ما يقصر العقل عنه، بمعنى أنه لايدركه

بمجرد العقل . مثاله : أن يجوز أن يكاشف الولي بأن فلانا سيموت غدا، ولا يُدرَك ببضاعة العقل، بل يقصر العقل عنه ؛ ولا يجوز أن يكاشف بأن الله غدا سيخلق مثل نفسه ؛ فإن ذلك يحيله العقل، لا أنه يقصر عنه ؛ وأبعد من ذلك أن يقول : إن الله سيصيّر في نفسه، أي أصير أنا هو ؛ لأن معناه أني حادث ، والله يجعلني قديما، ولست خالق السموات والأرضين ؛ والله يجعلني خالق السموات والأرضين ؛ وهذا معنى قوله : نظرت فإذا أنا هو - إذا لم يؤول وحمل على ظاهره ؛

ومن صدق بمثل هذا المحال، فقد انخلع عن غريزة العقل، ولم يتميز عنده ما يُعلَم عما يُعلَم ؛ فيُصدّق بأنه يجوز أن يكاشف ولي بأن الشريعة باطلة ! . . . وأنها إن كانت حقا فقد يقلبها الله باطلا ! . . . وأنه جعل أقاويل الأنبياء كذبا ! . . .

ومن قال : يستحيل أن ينقلب الصدق كذبا ؛ فإنما يقول ببضاعة العقل ؛ فإن انقلاب الصدق كذبا ليس بأبعد من انقلاب الحادث قديما، والعبدُ ربا ؛

ومن لايفرق بين ما أحاله العقل وبين ما لاينالهُ العقل فهو أخس من أن يخاطب ؛ فليُترك وجهله ؛